خير الهم الآيات وقال لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به الآية وأما العلم به فيراد به في الأصل نوعان (٢٣٤)
أحدهما العلم به نفسه وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت
عليه أسماؤه الحسنى وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة فإنه لا بد
أن يعلم أن الله يثيب على طاعته ويعاقب على معصيته كما شهد به القرآن والعيان
وهذا معنى قول أبي حيان أحد أتباع التابعين العلماء ثلاثة عالم بالله ليس عالما بأمر الله ثلاثة
وعالم بأمر الله ليس عالما بالله وعالم بالله وبأمر الله فالعالم بالله الذي يخشى الله والعالم لعله وعالم بالله
بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام وقال رجل للشعبي أيها العالم فقال إنما العالم من
يخشى الله وقال عبد الله بن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا
والنوع الثاني يراد بالعلم به العلم بالأحكام الشرعية كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ترخص في شيء فبلغه أن قوما تنزهوا عنه فقال ما بال أقوام يتنزهون عن
أشياء أترخص فيها والله إني لأعلمهم بالله وأخشاهم له وفي رواية والله إني
لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده فجعل العلم به هو العلم بحدوده وقريب من
ذلك قول بعض التابعين في صفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إن كان
الله في صدرك لعظيما وإن كنت بذات الله لعليما أراد بذلك أحكام الله فإن لفظ
الذات في لغتهم لم يكن كلفظ الذات في اصطلاح المتأخرين بل يراد به ما يضاف إلى الله
كما قال خبيب رضي الله عنه وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
ومنه الحديث لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات كلهن في ذات
الله ومنه قوله تعالى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وهو عليم بذات الصدور
ونحو ذلك فإن ذات تأنيث ذو وهو يستعمل مضافا يتوصل به إلى الوصف
بالأجناس فإن كان الموصوف مذكرا قيل ذو وإن كان مؤنثا قيل ذات
كما يقال ذات سوار فإن قيل أصيب فلان في ذات الله فالمعنى في جهته ووجهه
أي فيما أمر به وأحبه ولأجله ثم إن الصفات لما كانت مضافة إلى النفس
فيقال في النفس إنها ذات علم وقدرة وكلام ونحو ذلك حذفوا
الإضافة وعرفوها فقالوا الذات الموصوفة أي النفس الموصوفة فإذا
قال هؤلاء المذكورون فإنما يعنون به النفس الحقيقة التي وصف لها
صفات

صفات والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف
كقول الصحابي في قل هو الله أحد أحبها لأنها صفة الرحمن وتارة يراد بها المعاني
(٢٣٥) التي دل عليها الكلام كالعلم والقدرة والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا
وتقول إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف والكلابية
ومن تبعهم من الصفاتية قد يفرقون بين الصفة والوصف فيجعلون الوصف
هو القول والصفة المعنى القائم بالموصوف وأما جماهير الناس فيعلمون
أن كل واحد من لفظ الصفة والوصف مصدر في الأصل كالوعد والعدة والوزن
والزنة وأنه يراد به تارة هذا وتارة هذا ولما كان أولئك الجهمية ينفون أن يوصف
قائم به علم أو قدرة أو كلام أو إرادة وقد أثبتها المسلمون صاروا يقولون هؤلاء
أثبتوا صفات زائدة على الذات وقد صارت طائفة من مناظريهم الصفاتية
يوافقونهم على هذا الإطلاق ويقولون الصفات زائدة على الذات فيشعرون
الناس أن هناك ذاتا متميزة عن الذات وأن لها صفات متميزة عن الذات
وشنع نفاة الصفات ليس هذا موضعه قد بينا فسادها في غير هذا الموضع
والتحقيق أن الذات الموصوفة لا تنفك عن الصفات أصلا ولا يمكن وجود
ذات خالية عن الصفات فدعوى المدعي وجود حي عليم قدير بصير لا حياة
ولا علم ولا قدرة كدعوى قدرة وحياة وعلم لا يكون الموصوف بها حيا عليما
قديرا بل دعوى شيء موجود قائم بنفسه قديم أو محدث عري عن جميع الصفات
ممتنع في صريح العقل ولكن الجهمية المعتزلة وغيرهم لما أثبتوا ذاتا مجردة
عن الصفات صار مناظرهم يقول أنا أثبت الصفات زائدة على ما أثبتموه
من الذات أي لا أقتصر على مجرد إثبات ذات بلا صفات ولم يعن بذلك أنه
في الخارج ذات ثابتة بنفسها ولها مع ذلك صفات هي زائدة على هذه
الذات متميزة عن الذات ولهذا كان من الناس من يقول الصفات غير الذات
كما يقول المعتزلة والكرامية ثم المعتزلة تنفيها والكرامية تثبتها ومنهم
من يقول الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره كما يقوله طوائف من الصفاتية
كأبي الحسن الأشعري وغيره ومنهم من يقول كما قالت الأئمة لا نقول الصفة
هي الموصوف ولا نقول هي غيره لأنا نقول لا هي هو ولا هي غيره فإن لفظ